الثورة الجمعة 15 ربيع الأول 1432هـ الموافق 18 فبراير 2011م العدد (16900)

أخطاء ختان الأطفال.. من المسئول؟!

يعزا أهمية الختان إلى وقاية الطفل من الأمراض المُعدية إلا أن إجراءه بالمنازل وبواسطة غير المتخصصين وبأدوات غير معقّمة يعرّض الأطفال لمشاكل خطيرة.

يبيّن الأنتربولوجي «مالك شبل» في كتاب له عن الختان كيف مارس المسلمون هذا التقليد خلال مراحل تاريخية مختلفة، فباستثناء سكان المنطقة الشرقية من البحر الأسود والمصريين والأثيوبيين الذين مارسوا دوماً الختان خلال السنوات الماضية، لا يمكن أن نقول أن الختان يُعدّ تقليداً دينياً (أقصد هنا الديانات السماوية الثلاث)، ويعترف الفينيقيون والسوريون والفلسطينيون أن هذا التقليد نقلوه عن المصريين، الذين يقول عنهم الفيلسوف الفرنسي فولتير: «إنهم أصل انتقال الختان إلى اليهود».

تحقيق/ مفيد درهم

- مختصون: تصلنا حالات ختان خاطئة والإهمال سيد الموقف
- جهات معنية: هناك تفعيل لآلية المراقبة على مراكز ختان الأطفال

وتؤكد المصادر التاريخية والعلمية أن الختان وإن مارسه المصريون والأثيوبيون والعبرانيون، فإن من يمارسه له مبرراته الخاصة، والتي تتنوع حسب اختلاف الثقافات والمجتمعات وهي تختزل في الدواعي الجمالية والصحية والوقائية والاجتماعية والثقافية والدينية، ومر الختان بمراحل عدة حسب اختلاف الثقافات والحُقب التاريخية.

ويقدِّر البعض بداية إجراء الختان بفترة ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد، بينما يردها البعض الآخر إلى النبي إبراهيم عليه السلام قبل ٢٠٠٠ عام من الميلاد، فسيدنا إبراهيم عليه السلام ختن نفسه كما تشير المصادر التاريخية.

أما الختان عند الأفارقة فيخضع إلى استعداد وتكوين نفسي وطقوس يمارسها الطفل قبل أن يتم ختانه، وهذا ما يؤكد عليه الأثنوغرافيون والأطباء.. ومصادر أخرى تشير إلى أن الختان يعود إلى عصور الإقطاع.. وتقول بعض المصادر الطبية إن عدد الذكور الذين يُختنون سنوياً يقدَّر بحوالي أربعة عشر مليوناً، في حين أن عدد المختونات سنوياً يصل إلى المليونين، وهناك أكثر من ٣١ مليون امرأة مختونة تعيش في ثلاثين دولة.. وإذا كانت العديد من المجتمعات البشرية تمارس الختان، فإن مخاطره تسجِّل ارتفاعاً مخيفاً.

فالأرقام التي يردها "مالك شبل" عن أخطاء الختان تصل إلى ٨٠ ألف خطأ في عملية الختان كل عام من بين ٥٠٠ ألف عملية، ومن بين الأخطاء الكبرى لهذه العملية نجد النزيف الدموي، والخوف الذي يظل يرافق الطفل مدى الحياة ويؤثر على نفسيته.

في وقت أقرت فيه منظمة الصحة العالمية في مارس ٢٠٠٧م الختان رسمياً كوسيلة للوقاية من داء فقدان المناعة "الإيدز".. كما طالب خبراء صحة من جنوب أفريقيا في شهر حزيران ٢٠٠٧م بإعداد برنامج للختان الجماعي، بعد أن أظهرت الدراسات أن الختان يقلص من معدل الإصابة بالفيروس المتسبب في الإيدز بنسبة ٦٠٪، ورغم أهمية الختان إلا أن أخطاءه في بلادنا بحسب ما قاله الدكتور/ علي المعمري – أخصائي تمريض – تتمثل بعدم تعقيم أدواته وامتهانه من قِبل غير المتخصصين كالمزينين وغيرهم وافتقار الختان المنزلي للأدوات النظيفة والمعقّمة وإجرائه بعيداً عن الفحوصات الطبية مما يضر بالطفل في حال كان يشكو من ضعف في الدم وغيره من الأمراض.

نزيف حاد

اضطر"أبو فادي" إلى إسعاف ابنه في أسبوع ولادته الأول إلى أقرب مركز صحي بعد أن اكتشف أن ختانه بالمنزل تسبب له بنزيف حاد.

وليس ببعيد عن "أبو فادي" ما قام به "صالح الوصابي" من ذهابه بابنه الرضيع إلى إحدى المستشفيات المتخصصة لتجديد ختانه بعد أن لاحظ أن ختانه السابق كان بشكل غير صحيح.

مضاعفات خطيرة

ودخل الطفل وحيد الذي يشكو من ضعف دم نتيجة إجراء عملية ختان له بدون فحوصات طبية في مضاعفات خطيرة كادت أن تودي بحياته.

بتر العضو الذكري!

وتسبّبت عملية ختان في إحدى المستشفيات الحكومية في مدينة تعز قبل فترة في بتر العضو الذكري لطفل رضيع لم يتجاوز الشهر من تاريخ ولادته.

وبحسب والد الرضيع فإن "أم عبدالقاهر" دخلت يوم ٣١ أكتوبر ٢٠٠٩م مستشفى الثورة العام بتعز لإجراء عملية قيصرية بعد مخاض متعسّر لتضع حملها في المستشفى وسط هالة من الفرحة والزغاريد من أسرته التي لم تكن تدرك أن لصراخ الضيف القادم على الأسرة بقية وإن بعد حين في بعض مستشفياتنا، حيث لم تستمر الفرحة حتى قرر والدا الطفل الرضيع ختانه بعد ٢٨ يوماً من ولادته في ذات المستشفى الذي بدلاً أن يقوم باستئصال اللحمية الزائدة قام باستئصال العضو الذكري وسط صدمة الأهل وجميع من سمعوا بالحادث.

وفي تصريح للمحامي/ أسامة عبدالإله سلاّم الأصبحي – رئيس مؤسسة العدالة للمحاماة والاستشارات والتدريب وأحد المترافعين عن الطفل "عبدالقاهر" أشار إلى تعرُّض الطفل لبتر عضوه الذكري بعد عملية الختان التي أجريت له من قِبل الطبيب المختص الدكتور "ع. س" أمر يعاقب عليه القانون جنائياً وذلك بمخالفة الطبيب لأصول وقواعد المهنة الطبية.. لافتاً إلى أن حياة الطفل في خطر.

ويرى الأصبحي أن أكثر أسباب الأخطاء الطبية تعود إلى الإهمال والاستخفاف بالقواعد الطبية أو الجهل بها، لعدم وجود مرجعية توفر إحصاءات عن حجمها، مما يبقي المجال مفتوحاً أمام الإشاعات، والخلط بين الخطأ الطبي نتيجة الإهمال وقلّة الخبرة أو ما قد ينجم عن المضاعفة المرضية.

ويؤكد المحامي أنهم لا يزالون وحتى اليوم يعمدون في مرافعاتهم عن المرضى الذين يقعون ضحية للأخطاء الطبية التي تنجم بالتأكيد عن تشخيص طبي غر دقيق على القانون العام.

لافتاً إلى أن هناك دولاً سنّت تشريعات خاصة بمثل هذه القضايا الطبية، وأن بلادنا لا زالت في طور صياغة مثل تلك التشريعات.

وقالت مصادر مطلعة أن محافظ محافظة تعز/ حمود خالد الصوفي وجّه مدير أمن المحافظة بفتح تحقيق عاجل وهام – على حد تعبير المحافظ – في موضوع تعرُّض الطفل الرضيع "عبدالقاهر" لبتر عضوه الذكري.. وفيما وجهت إدارة أمن المحافظة بالتحقيق في الواقعة كانت نيابة شرق تعز من جهتها قد وجهت إلى مدير عام مكتب الصحة والسكان بالمحافظة بتكليف لجنة طبية على وجه السرعة للتحقق مما ورد في موضوع الخطأ الطبي من عدمه.

أضرار

ويقول الدكتور/ سعيد القرشي – أخصائي جراحة عامة بمركز معين الطبي بأمانة العاصمة: الأضرار الناتجة عن سوء ختان الأطفال الذكور تتمثل بالنزيف، والختانة غير الكاملة ومرض الكزاز الناتج عن عدم تعقيم أدوات الختان وغيرها.

ويضيف القرشي: وصلت إلينا حالات ختان أطفال ذكور خاطئة وحالات ختان إناث مما جعلنا نقوم بمعالجتها، ونحن نستقبل خلال الشهر الواحد حوالي ٣٠ حالة ختان.

وينصح الدكتور/ سعيد الآباء بختان أبنائهم في المراكز والمستشفيات المتخصصة من أجل تجنيبهم الأضرار الناتجة عن سوء الختان، والابتعاد عن ختان الإناث لما له من أضرار نفسية وصحية واجتماعية عديدة.

إجراءات

ويؤكد الدكتور/ علي المعمري – أخصائي تمريض – على إجراء الفحوصات للطفل قبل عملية الختان من أجل التأكد من صحة سلامته وخلوه من الأمراض التي قد تتسبب في مضاعفات بعد الختان.

ويضيف المعمري: نقوم بتطهير منطقة الختان بمحلول نرمل سلاسين، والأسبرت، ثم الأيودين، ووضع مخدِّر إذا لزم الأمر، وتجهيز وتعقيم أدوات الختان من أجل ضمان سلامة الختان.

رقابة

من جهته يتحدَّث الدكتور/ عبدالله حسين الجمرة – مدير مكتب الصحة بمديرية معين بأمانة العاصمة – قائلاً:

– الختان سُنَّة نبوية تقي من الأمراض، تتم في مستشفيات ومراكز المديرية بشكل صحيح وبواسطة متخصصين، ولم تصلنا حتى الآن أي شكوى في هذا الشأن وفي حالة وصولها إلينا سنتعامل معها وفقاً للإجراءات القانونية، ولا ننصح بالختان المنزلي، وختان الإناث لما لهما من أضرار عديدة، ونحن نراقب باستمرار عملية الختان الجارية بمستشفياتنا ومراكزنا وأدواتها المعقّمة وندعو المواطنين إلى ختان أبنائهم في المستشفيات والمراكز المتخصصة من أجل سلامتهم من الأمراض.